

الجزائر في الأدب الرحلي الفرنسي

د. ميلود عبيد منقور،

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم/ الجزائر

مرّت الجزائر بحقبة سوداء لا تحسد عليها البتة، لما اعتراها من الذلة والمسكنة، والقهر والقمع، وأطلعنا الأخبار عن مجازر فظيعة على البلد، وسلب لخيراته وممتلكاته نهرا جهارا، وتقتيل الشعب وترويعه، واضطهاده ظلما وعدوانا، ونفت روح الاختلاف والتنازع والتناحر مكررا وعدوانا. صار الجزائريون عرضة للإهانة ومثلا للشماتة، ولم يعد يخشى لهم جانب، ولم يكثر بهم العدو، وكانت الأوضاع في فرنسا من سوء والفساد بمكان إلى درجة التعفن.

في خضم هذه الأجواء المشحونة والموبوءة التي تشي بتدري الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية حاول النظام الملكي "البونابارتي" امتصاص غضب الشعب الفرنسي واحتواء الأزمة باحتلال الجزائر.

1. الميثولوجيا والاجذابية الرومانسية⁽¹⁾:

وما إن نزلت القوات الغازية بجزيرة "سيدي فرج" حتى تعاطف النبهاء من الكتاب وحذاق الأدباء من ذوي العيار الثقيل أمثال: فيكتور هيغو (Victor Hugo)، وبلزاك (Balzac)، وألفريد دي فيني (Alfred de Vigny)، ولامارتين (Lamartine) مع المؤسسة الاستعمارية.

وفي المستهل، لعله من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن السلطات الاستعمارية الفرنسية - خلال الغزو العسكري للجزائر - قامت بجهود جبارة لاستقطاب جيش من العلماء والأدباء والرسامين إلى الجزائر بغية التعريف بالأرض النائية على

اعتبار أن الجزائر بلد السحر والجمال والضواري، والترويج للنزعة الغرائبية (exotisme) والانجذاب إلى الشرق الخيالي².

و"تيوفيل غوتيي" (Théophile Gautier) هو أول كاتب شهير زار الجزائر، واقتفت أثره جحافل من الأدباء مدفوعين بدافع الامتداد للأفق الأوروبي الداعي إلى نشر الحداثة الثقافية والحضارية، أو فرصة للتوسع الثقافي (expansionnisme culturel) بدعوى أن فرنسا هي النموذج، والشرق هو فضاء التوحش، والتخلف والفقير.

ومن الأدباء - وقد حداهم الحماس والانتصار لحضارتهم الغربية - من هرع للتعرف على إفريقيا والتطلع إلى البدائية المتوحشة والولع بالطابع المحلي³، ومنهم من جاء هرباً من الهيمنة العقلانية بحثاً عن منافذ جديدة وآفاق واسعة للإبداع، ومنهم من جاء لرؤية الشرق كالأب إيمو (Emaux) والأب كامي (Camees)⁴. منهم من انخرط في السياق الكولونيالي، وهم السواد الأعظم يساندون الاستعمار.

والشرق عند البعض يشمل بلاد العرب وتركيا ومنغوليا وسيام واليابان، وعند البعض الآخر يضم البلاد العربية وماليزيا والهند والصين واليابان وبعض الدول الإفريقية، وجزر مجهولة، ويعد المغرب العربي جزءاً من الشرق⁵.

2. الجزائر في عيني فيكتور هيغو:

ولما كانت الإشارة لا تغني عن العبارة، وددنا الحديث عن "فيكتور هيغو" وغيره، وكثير ما هم، معدودون على طبقة أساطين الشعر والنثر في فرنسا، لا يثبتون على مبدأ ولا يستقرون على حال، يباركون الاحتلال تعصبا وتشيعا لـ "بوناپارت" (Bonaparte) وهجنة للجزائر، "وليس في السياسة أخ أو صديق، في السياسة مصالح ومنافع"⁶

يقول فيكتور هيغو (Victor Hugo):

"يجب على الاحتلال العسكري أن يغطي ويحمي الاحتلال المدني، كما يحمي الجدار المدينة".

"الاحتلال يعد جدارا حيا، أليس المعسكر الفرنسي بأحسن حاجز دائم؟"
"وعلى الجندي أن يكون في المقدمة قبل المستعمر كما توضع الآلة الحديدية على حافة المطرقة"⁷.

ولسنا نحب الاستكثار من الأقوال والأخبار، فهي مبنوثة في مظان الكتب، وإنما أردنا من حديثنا الإشارة إلى النوايا المبيتة وتسفيه المزاعم، فهم قوم لا خلاق لهم، أخفاء الهام سفهاء الأحلام، قد غمسوا في الكذب وصبغوا به، فلا تظنن كل بارق ذهباً إبريزاً ولا تحسبن كل ناعق راقياً عزيزاً. وفي المقابل، لما ضيع "بونابرت" على فيكتور هيغو أحلامه، ولاحقه إلى حد النفي، نجد فيكتور هيغو قد قلب له ظهر المجن واسترسل في وصف الجرائم الشنعاء التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري الأعزل. "جيش متوحش بشأن الجزائر، الجنرال لفلو (laflot) أخبرني بالأمس، يوم 16 أكتوبر 1852م: قلما نجد جنوداً فرنسيين يرمون أطفالاً من النوافذ، وقلما نرى في الأعلى جنوداً فرنسيين يقذفون أطفالاً من النوافذ وآخرين يرفعون سيوفهم إلى الأعلى وهم يرقبون في الأسفل الأجسام تنزل على رؤوس الرماح. يجردون النساء من الأقراط غصبا ويبترون أصابع الأرجل والأيدي للاستيلاء على الخواتم. وعند مرور العربي الأسير بين الصفوف ترتفع أصوات الجنود ساخرة: قطع الرأس"⁸ بالاسبانية (cortar cabeza).

واعلم أن أخ الجنرال مارولاس (maroles) كان يشرع رمحه إلى السماء ليهوي الطفل على رأس الرمح دون وخز الضمير، ودون تكييت إشارة إلى جرائم الجنرال تفرسي والعقيد بليسيي (Pélissier) وهو يحرق العرب أحياء"⁹. ولئن كشف سوءات الاستعمار وعوارده، فإن ذلك لا يشفع له ولا يعاضد جانبه.

فقد نسخ نضارته الكمه، ولوثت المراوغة والمواربة صفحته، وتجاوز به الأمر إلى القدح وشم الأبطال من طينة "الأمير عبد القادر" ووصفه بنعوت تنبو عن الذوق وسمو الأخلاق"¹⁰.

وحسبنا الإشارة إلى الصور (figures) المتناثرة في ثنايا الخطاب لنقف عند المخبوء الخبيث في قصيدته حول الأمير عبد القادر: وحش الفلا، هو السلطان الذي ولد تحت النخيل - صديق الأسود - غامض - متوحش - سفاك الدماء - يدها مخضبة بدم الإنسان - وبه تسقى سيوفه - يجلس على الرؤوس المقطوعة"¹¹ وبات واضحا أن مسألة الشرق كانت ولا تزال مجرد ذريعة، وما هاجس الانجذابية أو الغرائبية سوى سبب للسطو والابتزاز، وأنه خدعة، والغرض منها "إعادة بناء الشرق وإنتاجه سياسيا واجتماعيا وعسكريا وعقائديا وتخيليا في مرحلة ما بعد التنوير"¹²، فالشرق ليس موضوعا معرفيا بقدر ما هو حاجة اقتصادية.

3. الرحالة الفرنسيون إلى الجزائر:

لقد حصنت فرنسا نفسها بجيش من الكتاب: مثل ألكسندر دوماس (Alexandre Dumas) وأندري جيد (André Gide) وألفونس دودي (Alphonse Daudet) وأوجان فروماتان (Eugene Fromentin)، وغيسطاف فلوبار (Gustave Flaubert)، وادموند (Edmond) وجيل ديكونكور (jules de) (concourt).

فكانوا جميعهم يتغاضون عن وقائع الساعة وفضائع الاستعمار لا يطعنون بالممارسات القمعية، ولم يتوغلوا في مأساة الجزائر، ولكنهم كانوا يسلكون مسلك السلطات العسكرية التي اعتادت السكوت على الجرائم الشنيعة، يعززون خطاباتها الفكرية وخطتها السياسية العسكرية "وكانوا يشركون الرؤى والإثارات الخارجية في نظرية الفن وأساليبه"¹³ ويبرزون النماذج المثالية، وينسجون حكايات من

صميم الخيال ويصفون على كتاباتهم أجواء من ألف ليلة وليلة، ويصفون عوالم سحرية عجيبة، وفرادس جذابة، وأصنافا من الأهالي البدائية، وأسرار حريم مغرية إلى غير ذلك مما جاء في كتاب "رحلة صيف في الصحراء" لفرومانتان (Fromentin)، وقد عاب عليه ألفونس دودي (Alphonse Daudet) السقط، على اعتبار أن كتبه تفتقد الصدق وتفتقر إلى الصحة.

1.3 رحلة ألكسندر دumas (Alexandre Dumas):

انتقينا نموذجا من أدب الرحلة بعنوان "سيدي إبراهيم" لألكسندر دumas الذي زار الجزائر سنة 1845م. وتعرض الرحلة التفاصيل الدقيقة لمعركة عظيمة حامية الوطيس جرت أحداثها على الحدود المغربية الجزائرية بين جيش الأمير عبد القادر والاستعمار الفرنسي، استطاعت فيها المقاومة الجزائرية أن تكيل للجيش الفرنسي ضربات قاسية موجعة قصمت ظهره وكسرت شوكته.

يبدأ المحكي بوصف القائد العسكري وهو يتربص الفرصة للقبض على الأمير عبد القادر.

"كل قائد عسكري يحلم بالقبض على الأمير، حلم جميل قد ينتهي إلى الموت عند السواد الأعظم" ¹⁴

"وقد كان هذا الأمر هوسا يشغل الكولونيل مونتانيك (Montagnac) دوما" ¹⁵

ويمضي التصوير في تعميق حالته الجنونية في مشهد رهيب عميق الدلالة.

"إما أن أقبض على الأمير وإما أن أموت" ¹⁶

يبدو أن القائد العسكري يسعى إلى التخلص من اليأس، والتحرر من الواقع الضاغط، لذلك نراه يردد هذه العبارة أكثر من عشر مرات، فيتحوّل الحلم إلى كابوس يتمطى عليه بصلبه، وإلى هاجس يخني عليه بكلّكله ويؤرق مضجعه، ولعل في ذلك دلالات:

1- الخلود إلى التنفيس لتجديد الملاحقة والمتابعة.

2- إضفاء بعد جمالي على النص.

3 - جعل التكرار "بؤرة النص" "17"

ويبلغ التصعيد أوجه، والتوتر الدرامي ذروته حيث درج الكاتب على تميته ونسج خيوطه طوال صفحات الخطاب بعمق، وبتبرير فني وموضوعي. وقد أضفى على الأمير هالة أسطورية وبطولة خارقة، ما دفع الكولونيل "مونتانيك" إلى حشد قوات هائلة من حيث العدد والمدد وتجهيز جيش عرمرم وقوي يتألف من أربعمئة وواحد وعشرين رجلاً تقودهم مجموعة من القادة العسكريين من ذوي الكعب العالي، ما بين عقيد ونقيب وملازم ومساعد أول.

"يوم الأحد 21 سبتمبر 1845م، على الساعة العاشرة تحركت قوات الجيش الفرنسي انطلاقاً من "جامع زورات" في اتجاه الغرب حتى الساعة الثانية صباحاً حيث توقفت لأخذ قسط من الراحة، وفي الساعة الثامنة صباحاً، تناولت فطور الصباح وعلى التاسعة استأنفت قوات الجيش السير لتعسكر في الساعة العاشرة بالقرب من "واد ترناتة" "18".

أثناء الغداء، يظهر أحد العرب الخونة وينضم إلى الجيش ويساق إلى الكولونيل ليبلغه أن الأمير عبد القادر يتحرك بجيشه العتيد متجهاً إلى بوجنان، وعليه يستدعي الكولونيل معاونيه: قائد الفيلق (Froment Coste) والقائد (Corby de cognord) وينفق الجميع بعد الاستشارة على مواصلة السير والتعسكر في واد ترناتة. وفي هذه الأثناء يلمح الجنود الفرنسيون بعضاً من الفرسان العرب ومعهم مغاربة.

"وفي الليل أمر الكولونيل بشد الرحال على الساعة الحادية عشر وإشعال النيران قبل السير لإيهام العرب أنهم في مكانهم ثابتون لا يتحركون، ولكن الثوار

يبادرونهم بإطلاق النار" ¹⁹، ولعل في ذلك إشارة إلى الفطنة واليقظة وترصد حركات جنود الاستعمار.

ورغم ذلك سار الجيش الفرنسي يشق الأرض إلى أن وصل إلى "كركور" فحط بها الرحال، وفي الصباح اندلعت الحرب على أشدها وتلاحم الجيشان، وكان الصدام عنيفا والمعركة ساخنة ضرورسا، ونزل الأمير إلى بطن الأرض، ولم يجسر الجيش الفرنسي الوقوف في وجهه، حيث زحفت صفوفه ترسل الخراب والموت، وتزرع الخوف والرعب، ولم يطل زمن الانتظار حتى كانت الغلبة لصالح الجزائريين، حيث سد جيش الأمير والبربر المنافذ وطوق الجيش الاستعماري من كل الجهات وجعلوهم - الأعداء - لقمة سائغة، وظلت الحرب دائرة، استعملت فيها السيوف والكعوب، وما هي إلا دقائق حتى خرّ الكولونيل صريعا، وقد أصابته رصاصة في الجبهة، ولحقه آخرون مجندلين على الأرض.

وفي هذا المشهد الرائع الذي يجمع العرب والبربر ما يدل على تضامن الجزائريين وتوحدتهم على اختلاف مشاربهم في مواجهة العدو، وتمسك الأمة في تحرير الأرض حيث إن الأحلام والهموم واحدة، وانضمام جيش القبائل من شأنه تعزيز قوته، وهذا التلاحم يثبت أن الشعب الجزائري بأجنحته العسكرية لا يصبر على الأذى والردى، ولا ينام على القذى، تصميمه عظيم وإيمانه بالنصر قوي. وفي هذه الأثناء يظهر الأمير والعلم يرفرف عاليا والجنود منتظمون، والجيش بنظامه المحكم استطاع أن ييز الفرسان الفرنسيين وأن يقضي عليهم قضاء مبرما.

تنقضي أيام، وتمضي شهور حتى تضاعل الجيش ولم يبق منه إلا النزر القليل حيث انقرضت الكتيبة الأولى والكتيبة الثانية وتحطمت الذخائر ووسائل القتال، وعلى الرغم من هذه الخسائر الكبيرة التي تكبدها الجيش الفرنسي في

الأرواح والعتاد فإن الرحالة ألكسندر دوماس يحاول من جانبه أن يقدم الجيش الفرنسي كنموذج لبطل مقاوم صلب عنيد لم يكف عن القتال ولم يضعف. ويصر نفر من الجنود الفرنسيين على مواصلة القتال، وهم يستلذون خوض المعركة ويلبسون بأس الجلد والصبر رافضين الهوان والاستسلام. ولى قلتهم يتدافعون، يزحم بعضهم البعض في الهجوم والتشابك مع العرب والبربر، وما لبثوا حتى احتموا بقبة "سيدي إبراهيم" يدخلونها وهم أثبت جنانا داخل جدرانها.

وتسرع فلول من جيش الأمير والجيش القبائلي لتمنع الأعداء من الخروج أو الهروب، وقد طوقت المكان من الجهات الأربع، إلا أن الجنود الفرنسيين يثبتون ويصممون على تقديم أرواحهم رخيصة دون خوف ولا تمنع ولا تراجع. وبعد هذا الحصار المطبق، حمل القواد الفرنسيون مسؤولية التحريض على القتال إلى آخر رمق وبث الأمل ورفض الانكسار أو الاستسلام، يستحثون الرجال ويستنهضون الهمم.

وفي هذه الأثناء يقترب الأمير عبد القادر منهم على بعد أربعة مائة متر وقد أصابته رصاصة في الخد ولكنه لم ينثن خانعا، بل وقف شامخا كالطود وهو يمسح آثار الدم لا يشكو ولا يعرف نصبا يطلب منهم وضع السلاح رافة بهم واحتقانا لإراقة الدماء حتى يسدل الستار.

"في هذه اللحظة يتقدم جمع غفير متدفق من جهة الغرب وينشطر على مسافة أربع مئة مترا ليظهر الأمير بصحبة فرسانه" ²⁰ إلا أن النقيب دي جيرو (De Gereaux) يتفرس في ملامح جنوده "فيصرخ بملء فيه لن نستسلم أبدا أليس كذلك أيها الأصدقاء" ²¹.

صحيح أنه يعترف بالهزيمة ولكنه لا يقبل الهوان بل إنه يرفض المهادنات وتمييع المواقف "نحن قليلون حقيقة، ولكن قادرون على أن ندافع عن أنفسنا" ²²

وكان خسارة معركة حربية ليس بالأمر العظيم، وإنما الخسران الحقيقي هو انهيار روح القتال والخضوع المستكين ووضع السلاح. ويعيد الأمير المحاولة ثلاثا ولكن بدون جدوى، وحيال هذا الموقف الرفض ينصرف الأمير تاركا للبربر فرصة الانقضاض والإجهاز عليهم، وإن نجوا من القتل فلن ينجوا من الجوع والعطش.

"ولكن يوم 26 على السادسة حاول النقيب "جيرو" أن يفتح جيبا والسير نحو "جامع زورات" ودون سابق إنذار استطاعت هذه المجموعة أن تفلت من الحصار والاستحواذ على مركز المراقبة والهرب مخلفة بعض القتلى".²³.

وفي الأخير يتمكن الأسرى بحيلهم ووسائلهم من الهرب، إذ يهب جندي يدعى البوق "دولان" في أحد الأيام وهو يشعر بأن حدثا ما سيقع هذه الليلة، ينصح رفاقه ويدعوهم إلى الحذر والحيطه، ويحثهم على الإعداد والاستعداد لمواجهة الطوارئ.

ولما جن الليل حدثت ضجة ترتعد لها الفرائص، وارتفعت أصوات تزرع الخوف والرعب وتنبئ بالخراب والموت، ومضى "دولان" يستحث رفاقه إلى المقاومة والهجوم، واستطاع بأعجوبة أن يفلت من قبضة العرب، فقفل هاربا متخطيا الأهوال والخطوب، يسير ليلا ويختفي نهارا إلى أن دخل إلى المغرب الأقصى.

وينتهي المحكي بعودة السجناء إلى نقطة الانطلاق "جامع زورات" وإقامة حفل كبير يشيد ببطولات الجنود الذين فضلوا الهزيمة ولم يقبلوا الاستسلام. النص رحلة فرنسية إلى الجزائر للرحالة الفرنسي ألكسندر دوماس (Alexandre Dumas)، والرحلة بوصفها نصا بصريا بامتياز، تنهض على السرد والوصف والتقرير، بالارتهان إلى السفر في ذهاب وإياب.

ينقل النص معركة حامية الوطيس وقعت بالجزائر والمغرب الأقصى، وفي أماكن متعددة.

بعض الأحداث كانت في غزوات بـ (ندروما زمن الاحتلال) والبعض الآخر وقع في المغرب الأقصى وجدة وذلك سنة 1845م من 21 سبتمبر إلى 24 سبتمبر، بيد أن تداعيات وتبعات الحرب دامت عاما كاملا ونيّف، إلى 27 نوفمبر 1846م، تكبّد فيها الجيش الفرنسي خسائر ثقيلة تحت إمرة الكولونيل "مونتانيك" وأعوانه من العسكر ذوي الرتب والألقاب.

تبدأ الأحداث من نقطة الانطلاق جامع الغزوات والحدود المغربية، وبعضها داخل المغرب الأقصى لتنتهي داخل الجزائر وتعود إلى جامع غزوات.

ولعل البصر والسمع والمشاهدة العيانية تجعل من الخطاب الرحلي سردا واقعيا وموقعا حيث تتحول التجربة الجسدية إلى معالجة خطابية تتشكّل وفق معطيات إيديولوجية، وبخلفيات متباينة. "لأن العملية السردية هي تحويل للوقائع من تجربة معيشة إلى سرد مكتوب من تعريفات وإضافات وإهمال وتقرير"²⁴.

هذه الرحلة من النوع الجهادي أو الحربي، كان الأمير عبد القادر فيها في موقف دفاع، يحارب غاصبا ظالما سرق أرضه وتاريخه وقيمه، ويستشعر مسؤولية الحز على قتال الأعداء والدعوة إلى الجهاد لتحرير البلد من الظلم والفساد، في الوقت الذي يصف فيه ألكسندر ديماس (Alexandre Dumas) تصميم الجنود الفرنسيين في دفع أرواحهم رخيصة دون خوف ولا تمنع ولا تراجع.

ولئن انتصر الرحالة الفرنسي لبطولة جيش الأمير وأشاد بالمقاومة الجزائرية الباسلة في قلب المعركة وفي صميم جوها المحتدم باعتباره شاهد عيان وراويًا مشاركًا، فإنه لم يميّز بين من يدافع عن أرضه المسلوبة والآخر المعتدي. وإذا كان نخبرنا كيف قتل الجندي الفرنسي، فإنه لم نخبرنا لماذا قتل؟.

السياق هنا لا يخلو من مفارقات عجيبة !!!

يحتل الوصف في هذه الرحلة مساحات يتقاسم فيها مع السرد حصة الأسد، ولا تكاد تميّز بينهما، فالراوي يسرد حين يتحدث عن المتحرك ويضيف حين يتحدث عن الساكن، حيث يتم السرد بالحديث عن الفعل في الزمان، ويتم الوصف بالحديث عن المكان والأشياء والشخصيات. "فالسارد في الرحلة، إذن يضيف ليسرد، ويسرد ليصف" ²⁵ ويكون بذلك الوصف خادماً للسرد.

"حشجة الاحتضار تعقبهم، ثم يأتي صمت الموت" ²⁶

وتنتهي عند التقرير أو التسجيل الذي ينخرط في الدائرة الإثنوغرافية من حيث العادات والتقاليد، والرحالة بالجانب التوثيقي يوقع النص، ويسم رحلته بحفريات تسد السمع والبصر، ما يجعل النص واقعياً موضوعياً أو محكياً تسجيلياً تقريرياً.

ولئن كانت اللغة مثقلة بالأرقام، تشاطر التقرير الصحفي وتنزل إلى البساطة والسهولة، فإنها لا تقرب الإسفاف والابتذال، بل على العكس من ذلك يرقى أدب الرحلة إلى مستوى الجمال والانسيابية، حيث تتظافر فيه الأساطير التي تمد النص بطاقات دلالية وإشعاعات فكرية.

كما استفاد أدب الرحلة من الذاكرة الشعبية ومن حملتها الفنية والجمالية من حيث البعد الإيديولوجي، فالشخصيات ترى من خلال المشاهدة والمعاناة وكأنها تطأ مكاناً له تاريخ وقدسيتها تنمأ في مع أبطال أسطوريين مثل الإسبارتيين (spartes) الذين قاوموا ببطولة واعترفوا بالهزيمة ولكنهم رفضوا الذل والاستسلام.

"لم يكن ادسبارس أشد قسوة على الخائن من الترموبيلس" ²⁷

ومثل الشخصيات التي أرخ لها هيرودوت (Hérodote) واكسينوفون (Xénophon) وهي شخصيات يونانية أرّخت لأبطال اليونان ومجّدت تاريخهم.

"تبدو هذه الحكايات العجيبة- المستوحاة من خيال هيرودوت واكسينوفون - حكاياتٍ تمثل شخصيتهاً أمامنا حاضرة تضحك وتغني وترفع رؤوسها إلى السماء".

ويقول في موضع آخر "إنها تشبه المواجهات القديمة التي وصفها هوميروس، والتي يضع فيها الأبطال أسلحتهم لرفع الصخور".

ولعل الغرض من الحفر في الذاكرة هو استمداد الطاقة وتجاوز الواقع المرير أيضاً وإكساب الشخصية هالة أسطورية.

لقد وشم الرحالة نصه بالتاريخ والتوقيت والأيام وتحديد الشخصية في بيئتها الزمكانية، وبذلك أضحت الرحلة وثيقة تاريخية وأدبية تعين المؤرخ وتساعد الباحث في التنقيب.

كما تعد الرحلة نصاً مرجعياً بامتياز ومادة تاريخية تعجنها المشاهد الآنية والمرئية، وتصهرها مواقف الأنا والآخر.

"عدد الرجال أربع مئة وواحد وعشرون" - "الفيلق الثامن عشر" - "الضباط العسكريون" - "العقيد مونتانيك" - "قائد الفيلق فرومانتان كوست".

التوثيق:

التواريخ 21 سبتمبر 1845م

الزمن في الساعة العاشرة مساءً

9 فبراير - 21 أبريل

المكان جامع زروات غزوات وندروما وبوججان وواد ترناتة...

التسجيل والبعد الاثنوغرافي:

تمتاز العملية التسجيلية في هذه الرحلة بالتركيز على مجموعة من الخصال:

- رعاية وحماية الأسرى

— شجاعة الأمير، وقد أصابته رصاصة عائرة، فلم يجزع ولم يخنع، بل وقف كالطود شامخا لا يتزعزع وهو الذي كان يدرب جنوده على الاستهانة بالقذائف.

— دعوة الجنود الفرنسيين إلى وضع السلاح وهم محاصرون يشي بموقف نبيل احتقانا للدماء وإيقافا لإراقة الدماء هدرًا.

— عناد الفرنسيين وتكبرهم.

— الاعتراف بالهزيمة ورفض الهوان والاستسلام.

— تفضيل الموت على الاستسلام

— روح التعالي وال فوقية "في إفريقيا لا يستسلم إما الانتصار وإما الموت أو الإمساك به"

— النشيد العسكري

— التضرع إلى الله

— الاحتفالات بالخمور

— الغناء والرقص

هذه الأمور كلها تجعل النص واقعيًا يفصح عن مظاهر ثقافية مختلفة.

الجانب الأركيولوجي:

هي نافذة مفتوحة على عالم قديم وحفر في ماضٍ سحيق، إذ يجعل الرحالة الشخصيات وكأنها تطأ مكانًا له تاريخ و قدسية يشحذ هممتهم، والغرض من ذلك هو استمداد الطاقة لتثور على واقعها المرير، وإذن فإن هذا الجانب الأركيولوجي يحمل آثار الانتشاء والغبطة والاعتبار.

إن الكاتب يذكر شخصياته بأسلافهم اليونان الشجعان في مواجهاتهم العتيقة التي يصورها هوميروس "حيث يضع الأبطال أسلحتهم لرفع الصخور"²⁸ إذ يشبه حالتهم في الحرب بحالة أبطال اليونان الشجعان، ولعل هذه الإشارة تتم عن حالة

نفسية شعورية تدل على الفخر والمتعة وتدفع إلى استمداد الطاقة لتجاوز الواقع المرير.

الهوامش:

- 1- محمد صالح دنبري، صورة الجزائر في الأدب الفرنكفوني (1830-1961) ترجمة حسن بن مهدي، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد 13، ماي جوان، 1986، ص 84.
- 2- Martino pierre, l'orient dans la littérature française au 16ieme et 17ieme siècle, paris, hachette, 1960.
- 3- محمد صالح دنبري، صورة الجزائر في الأدب الفرنكفوني، ص 85.
- 4- م ن، ص 85.
- 5- شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 112.
- 6- علي شلق، أبو نواس بين التخطي والالتزام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، طبعة اولى، 1982، بيروت لبنان، ص 396.
- 7- Manceron gilles, Marianne et les colonies, introduction a l'histoire coloniale de la France, paris, éditions la découverte, 2003.
- 8- Victor Hugo, œuvres complètes, paris, robert Laffont, coll, bouquins, 1985.
- 9- Victor Hugo, œuvres complètes, paris, robert Laffont, coll, bouquins, 1985.
- 10- Victor Hugo, les châtiments, orientales, VI, Bruxelles, janvier 1852.
- 11- idem, poème, l'émir Abdelkader.
- 12- إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة والسلطة والإشياء، ترجمة كمال أبو ذيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، 1984، ص 38.
- 13- صورة الجزائر في الأدب الفرنكفوني، مرجع سابق، ص 85.
- 14- رحلة ألكسندر دumas، سيدي إبراهيم، ص 127، ترجمة ميلود عبيد منقور.
- 15- المرجع نفسه، ص 127.
- 16- الرحلة، سيدي إبراهيم، الكسندر دumas، ص 127.
- 17- مزارى شارف، جمالية التلقي في القرآن الكريم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2009، ص 117.

- 18- الرحلة، سيدي إبراهيم، الكسندر دوماس، ص 128 .
- 19- الرحلة، سيدي إبراهيم، الكسندر دوماس، ص 130 .
- 20- الرحلة، سيدي إبراهيم، الكسندر دوماس، ص 132 .
- 21- م ن، ص 137 .
- 22- الرحلة، سيدي إبراهيم، الكسندر دوماس، ص 137 .
- 23- م ن، ص 139 .
- 24- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 268 .
- 25- عبد الرحيم مودة، الرحلة في الأدب المغربي (النص، النوع، السياق) إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 112 .
- 26- الرحلة، سيدي إبراهيم، الكسندر دوماس، ص 145 .
- 27- الرحلة، سيدي إبراهيم، الكسندر دوماس، ص 157 .
- 28- الرحلة، ص 138 .